الفصل الأول

الصياغات النظرية والأيديولوجية لقضية الطبقة الاجتماعية

أولا : النظرية الماركسية وقضية الطبقة : الجدل والامتداد .

ثانيا : البنائية الوظيفية وقضية الطبقة : الحوار والنقد .

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمـــــة :

تعد دراسة الطبقات مطلبا نظريا وعمليا فى الوقت نفسه . وباعتبار أن الطبقات الاجتماعية جزء لا ينفصم عن البنية الاجتماعية وترتبطها به علاقة وشيجة ، فان مفهوم الطبقة يعد أحد المفاهيم الاستراتيجية التى تعكس طبيعة البناء الاجتماعى ، أو بمعنى آخر إنه المفهوم القادر على تشريح التكوينات الاقتصادية الاجتماعية من حيث توضيح طبيعة العلاقة الاجتماعية بين المسيطرين والخاضعين .

إن الاهتمام بدراسة هذه القضية قديم قدم البشرية . ولكن المتفحص للمحاولات التى تصدت بالدراسة والتحليل للظاهرة الطبقية يستطيع ان يقف على كم هائل من التباينات النظرية بينها . ولما كان هذا الفصل يهتم بالأساس بطرح المحاولات النظرية التى تحاورت حول مفهوم الطبقة ، فإنه جاء ليعالج قضيتين أساسيتين . الأولى تتعلق بطرح المقولات الماركسية الأرثوذوكسية والمحدثة ، وذلك لتبيان الجدل الدائر بين مفكريها وايديولوجيبها. أما القضية الأخرى فتعرض لقضية الطبقة فى ضوء النظرية البنائية الوظيفية ، تلك النظرية التى تحاورت مع الماركسية فجندت كل مفكريها ومؤسساتها الأيديولوجية لنقد الماركسية ودحضها .

أولا ، النظرية الماركسية وقضية الطبقة ، الجدل والامتداد .

يثير مفهوم الطبقة كثيراً من الجدل الفكرى سواء من حيث طبيعتها ، أو من حيث المناهج المستخدمة فى دراستها التى تعكس اتجاهات ايديولوجية محددة . إن مفهوم الطبقة يرتبط بصلة وثيقة بالاتجاهات الأيديولوجية ، الذى كثيراً ما يظهرعلى أنه صراع طبقى على الصعيد النظرى . وغنى عن البيان أن الطبقة كمفهوم تفسيرى لم يأت من فراغ تاريخى ، وانما جاء كأحد مفردات نسق فكرى واسع أراد معرفة التحولات التى خبرها المجتمع الأوربى إبان القرن التاسع عشر ، ذلك النسق الذى كان واعيا بأبعاد الزمان والمكان والأيدولوجيا فى إطار التحليل الكلى الشامل . وإذا كان كوكبه من مفكرى القرن التاسع عشر قد توصلوا إلى دلالات الطبقة التفسيرية ، فإن هذه الدلالات تختلف فيما بينهم .

ويعتبر مفهوم الطبقة من المفاهيم المحورية التى عرفها الفكر الإنسانى منذ القدم . إن التأصيل لمفهوم الطبقة يرجعنا بصورة مباشرة إلى البدايات المبكرة للفكر الاجتماعى ، تلك التى يتصل جذورها بالفسلفة اليونانية القديمة (أرسطو – افلاطون) . ولكن سوسيولوجية الطبقة من حيث النظرية والمنهج تتحدد بمحاولات كارل ماركس "Marx" فى نقـــده للنظام

الرأسمالى، أى أن بداية التفكير العلمى السوسيولوجى للطبقة تتحدد بالأفكار التى طرحها ماركس(١) .

ان الطبقة بمفهومها العلمى تعد إحدى نتاجات الفكر الماركسى ، إذ كان لهذا المفهوم الفضل كل الفضل فى وجود تفسيرات مضادة حاولت إفراز تعتيم نظرى وايديولوجى ، وميعت قضية انقسام المجتمع الى طبقات محددة المعالم ، تسود بينها علاقة سيطرة واستغلال من واحدة ، وخضوع لاخرى . ويعتبر كارل ماركس اول من قدم محاولة علمية لاستيضاح هذا المفهوم . وعلى الرغم من ان وجهات نظـــر ماركس فى موضـوع الطبقة جاءت مبعثرة فى مؤلفاته ، الا أنه حددها بانها تجمع من الاشخاص تنجز عملا واحدا فى اطار عملية انتاجية واحدة ، وتختلف باختلاف وضعها الاقتصادى وموقعها من عملية الانتاج ، أى أن الطبقة تتحدد فى ضوء المهام المشتركة فى عملية الانتاج . وفى البيان الشيوعى أوضح ماركس أن مسميات هذه الطبقات تختلف فى المراحل التاريخية المختلفة (٢) .

وعلى الرغم من تحديد ماركس لمفهوم الطبقة ، الا أن الفضل فى اكتشاف وجودها لا يرجع له وهو فى ذلك يقرر " ... أنه لا يعود إلى الفضل فى اكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع الحديث ، ولا فى اكتشاف وجود الصراع الطبقى بينها ، فقبلى بكثير استطاع بعض المؤرخين البرجوازيين تشريح الطبقات اقتصاديا ..... ولكن الجديد الذى اتيت به يتمحور حول تاكيد أن وجود الطبقات دائما يرتبط بمراحل تاريخية معينة من تطور الانتاج ، وان الصراع الطبقى ينتج فى النهاية ديكتاتورية الطبقة العاملة ، وان هذه الديكتاتورية لا تعد سوى نقلة مرحلية لايجاد المجتمع اللاطبقى .. " (٣) .

ووفقا لكلام ماركس يتبين ان المحور الاساسى أو المتغير الاساسى لنشوء الطبقة هو الملكية ، أما المتغير الوسيط فهو تقسيم العمل . واذا كانت تلك هى الظروف الموضوعية لنشأة

---

(١) انظر حول ذلك فى :
- السيد الحسينى " علم الاجتماع السياسى : المفاهيم والقضايا ، ص ١٧ .
- السيد الحسينى " نحو نظرية اجتماعية نقدية " ص ١٤ .
- غريب سيد أحمد ، الطبقات الاجتماعية ، ص ص ١ - ٣ .
- بوتومور : الطبقات فى المجتمع الحديث ، ترجمة محمد الجوهرى واخرون ، ص ٥٧ .

(٢) R. Bendix and S. lipset, "Karl Marx's theory of social class cl, in : Bendix and Lipset (eds.) class, status, and power social stratification in coparative prespective, p.7.

(٣) أحمد القصير ، منهجية علم الاجتماع بين الوظيفة والماركسية والبنوية ، ص ٩٤ .

طبقة العمال ، فان الظروف الذاتية تتمحور حول الوعى . ان الطبـــقة الاجتماعية لا يتم تشكلها بصورة نهائية إلا بوجود الوعى الذى لا يمـــكن أن يوجد إلا عن طريق الأيديولوجية الطبقية (١) .

لقد حلل ماركس المجتمعات الإنسانية فوجد أن الطبقات الاجتماعية فى كل مكان هى هى . فمثلا فى مؤلفه مع إنجلز " الثورة والثورة المضادة فى المانيا " نجده يميز بين النبالة الاقطاعية والبرجوازية والبرجوازية الصغيرة والطبقة الفلاحية الكبرى والوسطى والصغيرة ، وطبقة القنانة والعمال الزراعيون وعمال الصناعة . وفى كتابه " نضال الطبقات فى فرنسا " نجده يحدد الطبقات على النحو التالى : البرجوازية المالية والصناعية والتجارية والصغيرة ، والطبقة الفلاحية ، والبروليتاريا والبروليتاريا الرثة . أما فى عصره فنجده يميز بين خمس طبقات هى : ملاك الأراضى والبرجوازية وصغار البرجوازيين . والفلاحون المزارعون والعمال الكادحون . ولكنه فى الوقت ذاته يرى أن هذه الطبقات تختصر إلى طبقتين أساسيتين هما العمال والبرجوازية . وعلى الرغم من أن ماركس قد صنف الطبقات بشكل تفصيلى فى المجتمعات البشرية ، إلا أنه لم يضع تحديدا دقيقا لها (٢) .

وربما لم يكن ماركس قد أولى اهتماما كبيرا لوضع تحديد دقيق للطبقات ، وإنما اعتبر الأهم أن يوضح حقيقة الانقسام الطبقى فى المجتمعات الإنسانية بوجه عام ، والانقسام الطبقى فى المجتمع الرأسمالى بوجه خاص ، لذا نجد لينين Lenin قد أولى هذه القضية اهتماما كبيرا فنجده يذهب إلى " أنها مجموعات كبيرة من الناس تختلف عن بعضها البعض فى المركز الذى تشغله فى نظام تاريخى محدد للإنتاج الاجتماعى . وبعلاقاتهم مع وسائل الإنتاج وكذا بدورها فى التنظيم الاجتماعى للعمل ، وبالتالى بالقدر والطريقة التى تستحوذ بها على نصيبها من الثروة الاجتماعية التى تقع تحت تصرفها . الطبقات هى مجموعات من الناس تستطيع إحداها أن تستحوذ على الأخرى نتيجة اختلاف المراكز التى تحتلها فى نظام محدد للانتاج الاجتماعى .. (٣) . إن ما أتى به لينين فى الطرح السابق لمفهوم الطبقة يعد تأكيدا لما قرره " ماركس وانجلز " من ارتباط الطبقات بالنمط التاريخى للانتاج وبعملية تقسيم العمل الاجتماعى .

---

(١) ف . كيللى و م . كوفالزون ، المادية التاريخية ، تعريب أحمد داود ، ص ٢٢٥ .

(٢) ريمون آرون ، صراع الطبقات ، ترجمة عبد الحميد الكاتب ، ص ٢٠ .

(٣) الفاناسيف ، أصول الفلسفة الماركسية ، ترجمة حمدى عبد الجواد ، ص ٢٣٥ .

لقد عرفت المجتمعات البشرية منذ ظهورها – ما عدا المجتمع البدائى – أشكالا مختلفة من الطبقات . وبمعنى آخر ، أن الطبقات صاحبت ظهور المجتمعات البشرية ومعها وجدت مظاهر الصراع الطبقى والقهر الاجتماعى . إنه فى كل مجتمع من المجتمعات الانسانية نظام طبقى يتلائم مع تطوره التاريخى وظروفـه المادية . إن تمايز الناس إلى مجموعات تملك وأخرى لا تملك ، خلق وضعا متناقضا أدى إلى الصراع الطبقى . وفى ضوء ذلك يرى ماركس أن تاريخ المجتمعات الطبقية ليس إلا تاريخ الصراع الطبقى والذى بدوره يحدد وجود الطبقات وليس العكس ، وان مجموع الصراعات الطبقية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والايديولوجية ، يتحدد فى نهاية الامر بالصراع الطبقى الاقتصادى فى الإنتاج . أى أن الصراع الطبقى هو العملية التى بمقتضاها يتم إعادة اســتقرار الشكل السياسى الذى يحقق السيطرة الاقتصادية (١) .

وعلى الرغم من أن قضية الطبقة قد احتلت اهتماماً كبيراً عند ماركس "Marx" باعتبارها مقولـة سوسيولوجية ووحدة لتحليل علاقات الإنتاج فى مراحل تطور المجتمع الإنسانى ، فإنها أيضا تعد مفهوما محوريا لتفسير صراع الانسان ونضاله . إن بذور الصراع الطبقى تكمن فى الظروف الاقتصادية ، وأن هذه الظروف تؤثر فى المصالح الطبقية وتشكل الطبقات . ويرى ماركس أن هذه الظروف ويقصد بها ظروف المجتمع البرجوازى تساهم فى تحول الجماهير الى عمال لهم موقف ومصلحة عامة تتناقض مع رأس المال . إن هذه الجماهير فى بادئ الأمر تكون طبقة فى ذاتها ، وحينما يشتد الصراع يخلق منها وحدة واحدة ، وتصبح طبقة لذاتها ، حينئذ يغدو الصراع بين طبقة ضد أخرى (٢) .

ويرى ماركس ان العمال فى المجتمع الرأسمالى يخضعون لعمليات نهب منظم من البرجوازية ، وأن العمال لا يأخذون القيمة الحقيقية لانتاجهم نتيجة انتزاع فائض القيمة التى تذهب الى الرأسمالية . إن هذا الشكل من الاستغلال هو الذى يجعل رسالة العمال الأساسية تدور حول تحطيم الرأســمالية وبنـــاء المجتمع اللاطبقى . وفى ضوء ذلك يرى ماركس أن

---

(١) ماركس وانجلز ، البيان الشيوعى ، ص ٣٦ . وحول هذه القضية انظر :
T.B; Bottomore and M.J. Mulkay (eds.), Capital, labour and the Middle classes, p. 49.

(٢) كارل ماركس ، بؤس الفلسفة : رد على فلسفة البؤس لبرودون ، ترجمة حنا عبود ، ص ١٦٥ ، ١٦٧
وأيضا : كارل ماركس وانجلز ، البيان الشيوعى ، المرجع السابق ، ص ص ٤٧ – ٤٨

العمال (البروليتاريا) هى الطبقة الثورية الوحيدة من بين جميع الطبقات ، لأنها الطبقة التى تمثل اكثر آثار النهب والاستغلال ، فهى بحكم تنظيمها وبحكم تعاملها مع الآلة تمتلك الثقافة والوعى . وبحكم هذا وذاك يمكن إقامة ديكتاتوريتها (١) .

وإذا ما حاولنا أن نوجز أهم تصورات النظرية الماركسية حول الطبقات والصراع الطبقى لسجلنا أنه طبقا لأفكار ماركس ، فإن مفهوم الطبقة يعتبر من المفاهيم المحورية فى دراسة الصراع الطبقى ووحدة للوصف والتحليل . وأن الصراع بعد أساسى من أبعاد المجتمع الإنسانى ، وأن الطبقات الاجتماعية تتحدد وفقا لموقعها من ملكية وسائل الإنتاج ووعيهابمصالحها ، وأن الصراع يرتبط بالبناء الأساسى والبناء الفوقى ، وان هناك تساند متبادل بين الوعى الاجتماعى والصراع الطبقى ، وأن الوظيفة الأساسية للصراع تتمحور فى تغير المجتمع وإيجاد تكوين اقتصادى اجتماعى بدلا من اخر ، ومن ثم إحلال ديكتاتورية طبقة وهى البروليتاريا محل أخرى وهى الرأسمالية .

وإذا كانت الأفكار السابقة لمفهوم الطبقة تدخل فى مصفوفة التصورات الكلاسيكية للنظرية الماركسية ، فإن ثمة أفكار أخرى تدخل فى إطار النظرية التى اصطلح عليها بأنها الشكل المحدث أو الامتداد لها . إن مفهوم ماوكس عن الطبقة ، وكذا الفاعل الثورى الذى سيأتى بالشكل اللاطبقى للمجتمع طرأ عليه كثير من التعديل ، لذا فقد خصصنا السطور التالية لإلقاء بعض الضوء على أهم الأفكار التى تتصل بها .

لقد أضحت الماركسية موضع جدل ونقاش من الماركسيين انفسهم . ففى دراسة لبيرنشتين "Pernstein" حول البناء الطبقى نجده يخالف فيها التصورات الماركسية ، فيرى أن الماركسية بشكلها الكلاسيكى تحتاج إلى تعديل طالما أنه لم يحدث أى إستقطاب طبقى وفقا لما نظر له ماركس . ونتيجة لذلك فقد توصل إلى استنتاج سياسى مفاده أن التحول الاشتراكى يمكن أن يتم بعيدا عن التصورات الصراعية للماركسية ، بشرط ان يحدث بصورة تدريجية من خلال تغلغل الاشتراكية إلى الرأسمالية نتيجة ما تضطلع به الحركة العمالية من نشاط ، ونتيجة لتحالفاتها التى دشنتها مع قطاعات الجماهير المختلفة (٢) .

وفى ضوء عدم إتيان الطبقة العاملة بصيغة ثورية جديدة فى أوربا ، نجد أن ماكس آدلر "Adler" فى عملين له عن الطبقة العاملة يقوم بفحص دلالة ومغزى التمايز الاجتماعى المتزايد

---

(١) محمد أحمد الزغبى ، التغير الاجتماعى بين علم الاجتماع البرجوازى وعلم الاجتماع الاشتراكى ، ص ١٠٠ .

(٢) بوتومور ، " الماركسية نسق نظرى فى علم الاجتماع ، ترجمة على جلبى فى : بوتومور ، نقد علم الاجتماع الماركسى ، ترجمة محمد على محمد وعلى جلبى ، ص ٤٤ .

وتطور الارستقراطية العمالية التى ربط بينها وبين تنظيمات العمل كما فعل ميشيلز ونجد أيضا رينر "Renner" قد أضاف إلى النظرية الماركسية بعض العناصر الجديدة . وفى تحليله لنمو طبقة جديدة من المديرين والعاملين والمأجورين التى أطلق عليها " طبقة الخدمة " ذهب إلى أنه فى تطور المجتمعات الرأسمالية وجدت طبقتان أساسيتان هما : طبقة الخدمة والطبقة العاملة وأنهما متقاربتان ، بل أنهما فى احيان كثيرة مندمجتان ، وبالتالى فإن هذه المجتمعات لم تشهد تمايزا واختفت فيها الطبقات المتناقضة (١) .

وبالنظر إلى مدرسة فرانكفورت – هوركهايمر وادورنو وماركيوز – التى تأثرت بشكل سافر باهتمامات صغار الهيجليين ، نجدها قد ذهبت على عكس ماركس فى انها ترى أن الطبقة العاملة لا تمثل موضوعات أساسية . وعلى الرغم من أن أعمالها النظرية تعد جزءا متمما للنضال الثورى الذى تقوم به البروليتاريا ضد الرأسمالية ، إلا أنها تخلع عن البروليتاريا هذا الدور ، لأن موقف البروليتاريا بالنسبة لهم لا يقدم ضمانا بمعرفة صادقة ، لأنها فقدت امكانياتها الثورية (٢) .

ووفقا لهذه الرؤية نجـد أن ماركيوز "Marcuse" فى كتابه " الإنسان ذو البعد الواحد " يرى أن البلاد الرأسمالية الصناعية قد تخلصت من أى قوة حقيقية قادرة على إيجاد تحولات جذرية فى المجتمع ، ومن ثم قيام مجتمع جديد . فإذا كان ماركيوز قد تقابل مع الماركسية فى الصراع ضد الرأسمالية ، إلا أنه يسحب الثقة من الطبقة العاملة فى إحداث هذه التحولات (٣) . وفى كتابه " الثورة والثورة المضادة " يحاول البحث عن قوة ثورية جديدة . فنجده يرى أن المنتظر من الطبقة العاملة القيام به لن يتحقق نظرا لما أصاب المجتمعات المتقدمة من تحولات جذرية نتيجة الطفرات التكنولوجية الهائلة ، لذا نجده يرى أن الثورة سوف تصدر من فئات أخرى غير الطبقة العاملة وهى : المنبوذين والملونين والعاطلين والأقليات المضطهدة ثم أخيرا أضاف الطلاب بعد حركات الاحتجاج فى اوربا فى عام ١٩٦٨ (٤) .

إن افكار ماركيوز حول الصراع الطبقي السياسى يعتبر موقفا رجعيا ، بل قل شديد الرجعية ، فهو بهذا الشكل يعطى تصريحا خطيرا للانسحاب من المعركة ضد الرأسمالية ، أو

---

(١) بوتومور ، المرجع السابق ، ص ٥٤ – ٥٥ .

(٢) السيد الحسينى ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) هربرت ماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرابيشى ، ص ٦٥ – ٦٧ .

(٤) H. Marcuse. Counter-Revolution and Revolt. p. 3-5.

وراجع أيضا

A. Giddnes, profiles and critiques in social theory, 165.

يفسح المجال لتقدم الرأسمالية وتقهقر القوة الثورية الأصلية . إن ادانة ماركيوز للطبقة العاملة وخلع الصفة الثورية عنها تعد دعوة استسلامية وانقياد أعمى لهوى المجتمع الرأسمالى .

وبيد أن ماركيوز قد قلل من قدر الطبقات الاجتماعية فى المجتمعات الرأسمالية ، فإن صدى هذه الأفكار نجدها واضحة فى كتابات هابرماس "Habermas" وفيلمر "Wellmer" اللذان يبديان نفس الموقف لماركيوز فى تخليهما عن الماركسية من خلال إنكارهما للدور الذى تلعبه الطبقة العاملة فى المجتمعات الرأسمالية المعاصرة . إذ يعتقد الأول أن إضفاء الطابع العقلانى على العلم والتكنولوجيا وتجاهل جوهر السيطرة الطبقية قد أضحت أهم ايديولوجيات المجتمعات المتقدمة . أما الثانى فإنه لا يختلف كثيراً عن الأول إذ يذهب إلى أن الأمال قد خابت فى إيجاد وسيلة للتحرر تقوم على أساس اقتصادى . وعلى ذلك فليس من الضرورى أن ينصب التحليل على تكوينات جديدة كلية من الأبنية التحتية والفوقية . ويضيف فيلمر أن مفهوم ماركس عن الطبقة قد فقد قوته وقدرته التحليلية ، فلم يعد فهم التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا فى ضوء قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج قائما ، وإنما يمكن فهمه فى ضوء الصراعات السياسية(١) .

يتضح مما سبق أن هذه الكتابات تعد تحريفا للمقولات الماركسية ، وبذا تعتبر انفصالا واضحاً عن الماركسية حيث تجاهل جوهر السيطرة الطبقية وتأبيد قيام النظام الرأسمالى . إن أفكار هذه المدرسة برغم مخالفتها للأفكار الوضعية ، فهى أفكار بديلة للماركسية ، وأحد أساليب الحفاظ على المجتمع الرأسمالى حيث نفى صفة الثورية عن الطبقة العاملة .

لقد كثر التفسير الذاتى للماركسية ، فعلى سبيل المثال نجد جرامشى ولوكاش وكورش يؤكدون على أهمية الوعى الثورى كمطلب أساسى للعمل السياسى . وذلك يعد ابتعادا واضحا عن أفكار ماركس الرئيسية . وفى ضوء أفكار جرامشى نجده يبنى كل توقعاته لا على النضال الثورى فحسب ، بل على بناء المجتمع الاشتراكى المتمثل بصورة أساسية فى تنظيم مجالس العمال . لقد أدرك جرامشى أن مسألة التنظيم هذه ، هى القاعدة الأساسية التى تسهل للطبقة العاملة عملية تجاوز عمليات الاستغلال الاقتصادى والضياع السياسى . وفى ضوء ذلك يرى جرامش أن البروليتاريا وديكتاتوريتها تقوم على الأشـكال والتنظيمات التى تشعر فيها العامل بإبداعه من حيث كونه منتجا ، ومن حيث وعيه بقيمته ومستغليه . ويرى جرامشى انه من خلال

---

(١) بوتومور ، فى البحث عن بروليتاريا ، ترجمة أحمد زايد ، فـى : بوتومور ، علم الاجتماع والنقد الاجتماعى ، ترجمة محمد الجوهرى واخرون ، ص ص ١١٧ – ١١٨ .

ذلك فإن هذه الطبقـــة تستطيـــع أن تقـــود المجتمع ومن ثم تحقـــق هيمنتـــها على الطبقات الأخرى (١) .

أما لوكاش "Lukacs" فمن خلال تتبعه للتطور التاريخى للطبقة العاملة فى المجتمع الرأسمالى يرى أن ظروف المجتمع الرأسمالى تسمح بتشكيل الطبقات نتيجة المصالح الاقتصادية المتعارضة التى تتكشف نتيجة الوعى الطبقى المكتسب أو الرشيد ، ويرى لوكاش أن الدعوة لسيطرة أية طبقة يأتى من خلال الوعى بالمصالح الطبقية الذاتية الذى يجب ان يأتى من خلال الوعى الطبقى التاريخى غير الزائف (٢) .

وبالنظر إلى بولانتزاس "Poulantzes" نجده يرى أن الطبقة الاجتماعية تعد انعكاسا للأبنية الاجتماعية على أصعدتها الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية . بمعنى آخر أن الطبقات الاجتماعية لا تأتى نتيجة مستوى بنيوى بذاته ، وإنما تأتى كانعكاس شامل للأبنية فى ميدان العلاقات الاجتماعية . إن تكون الطبقات لا يرجع إلى المستوى الاقتصادى وحده ، وإنما انعكاس لمستويات أسلوب الإنتاج أو التكوين الاجتماعى فى مجموعها ، وأن العلاقات الصراعية على مستوى كافة الأصعدة والممارسات الطبقية هى إنعكاس لطبيعة العلاقات بين الأبنية وما تتخذه من أشكال العلاقات المتناقضة . إن هذه العلاقات تتحـــدد وفقا لها العلاقة بين الطبقات (علاقات السيطرة والتبعية وكذا الممارسات الطبقية) ، التى هى فى الواقع علاقات سلطة والتى تعنى قدرة طبقة اجتماعية على تحقيق مصالحها وفرض هيمنتها .

وغنى عن البيان أن العلاقات القائمة بين الطبقات من وجهة نظر بولانتزاس هى علاقات سلطة أو قوة ، فإذا كان مفهوم الطبقة يعبر عن انعكاس مستويات البناء الاجتماعى ككل ، فإن مفهوم السلطة يقصر على العلاقات بين الطبقات الاجتماعية المتناحرة . وباعتبار ان السلطة مفهوم يعبر عن انعكاس مستويات البناء الاجتماعى برمته ، فإن العلاقات الطبقية فى كافة مستوياتها هى علاقات سلطة أو قوة (٣) .

لقد تعرضت وجهة نظر بولانتزاس ومعالجته للطبقة العاملة وخاصة محكات اختيار وتقسيم الطبقة العاملة لسلسلة من النقد العام ، نجدها تتركز بشكل أساسى على شكل

---

(١) جاك تكسيه . جرامش : دراسات ومختارات ، ترجمة ميخائيل ابراهيم ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٢) لوكاش ، التاريخ والوعى الطبقى ، ترجمة حنا عبود ، ص ٥٤ – ٥٥ .

(٣) N. Poulanizas "on social" in : A. Giddens. D.Held (eds). classes, power and conflict and contemporary debets, pp. 101-102 .

البروليتاريا وعلاقتها بالبرجوازية ، وكذا إمكانية الموافقة على التقسيم الاجتماعى المتناقض للعمل داخل التكوين الاقتصادى الرأسمالى . وفى ضوء ذلك يرى رايت "O. Wright" أن ثمة تناقضا فى العلاقات الطبقية الرأسمالية ، وأن هذا التناقض يتضح بشكل جلى إذا ما تعاملنا مع التركيب الطبقى بالنظر إلى أوضاع المهن . لذا نجده يركز مناقشته للتركيب الطبقى وتطور مختلف الفئات الاجتماعية من خلال المهنة . وهو فى ذلك يرى أنه يستخدم كلمة فئات كمحك ، برغم ما يثيـــر حولها من انتقادات ، ولكن غرض التحليل هو الذى دفعه إليها . وهو فى ذلك يقول : إن شكل التركيب الرأسمالى وما يتميز به من خصائص موضوعية وما يثيره من تناقض هو الذى فرض عليه هذا التحليل وهذا المحك . إن التناقض الأساسى يتحدد وفقا للعلاقات الطبقية التى تشير إلى المشاكل القائمة في داخل العلاقات الطبقية سواء أكانت بسيطة أو معقدة ويرى رايت أن الفهم الكامل لطبيعة التركيب الطبقى للمجتمعات الرأسمالية يتطلب أولا : ضرورة فهم العمليات المختلفة داخل مؤسسات العلاقات الطبقية ، وكذا التحول التاريخى فى مجرى عمليات التنمية الرأسمالية . ثانيا : فحـــص الطرق التـــى بها تباينـــت العمليات المختلفة التى ولدت عـــدد من المتناقضات داخـــل التركيب الطبقـــى فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة .

وللوقوف على ذلك اصطنع رايت شكلا – انظر الشكل التالى – وضع فيه ثلاث مواضع رئيسية داخل التقسيم الاجتماعى للعمل فى إطار النظام الرأسمالى وهو من خلاله يرى أن المرء يستطيع أن يخرج بخصائص مختلفة أبرزها التناقض فى معيار المهنة ، أو طبقا لمفهومه فئات المهن داخل العلاقات الطبقية . ووفقا لمعيار الفئات هذه يرى رايت أن الفئات المهنية فى التكوين الاجتماعى الاقتصادى الرأسمالى تشتمل على ثلاث وظائف هى ، أولا : وظيفة المديرين المشرفين التى تلقى الضوء على التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا ، أما الفئة الثانية : فهى شبه العمال المستقلة ذات الصلة بمستويات السيطرة العليا والتى فى الوقت نفسه تسيطر على العمليات الوسطى للعمل . وهذه العملية تبرز التناقض بين العمال والبرجوازية الصغيرة . أما الثالثة : فيرى رايت أنها الفئة التى تحدد التناقض بين البرجوازية والبرجوازية الصغيرة (١) . لقد اقترب رايت فى تحليله من التصنيف اللينينى للبنية الطبقية للمجتمع البرجوازى ، والذى وصف المجتمع بأنه يعـــرف ثلاث طبقـــات هى : البرجوازية ، والبرجوازية الصغيرة والبروليتاريا (٢) . وعلى الرغم من أن رايت نظر إلى العلاقات الطبقية فى المجتمع الرأسمالى

---

(١) E.O.Wright "Class Boundaries and Contradicatory Class Location", in : Giddnes and Held, (eds.). classes, power and confilict, op. cit. pp. 112.

(٢) Lenin. Collected works. Vol. 26., Progress Publishers, Moscow, 1969, p. 96.

شكل رقم : (١)
يوضح علاقات التناقض الطبقي ومواقع القوى الطبقية (*)

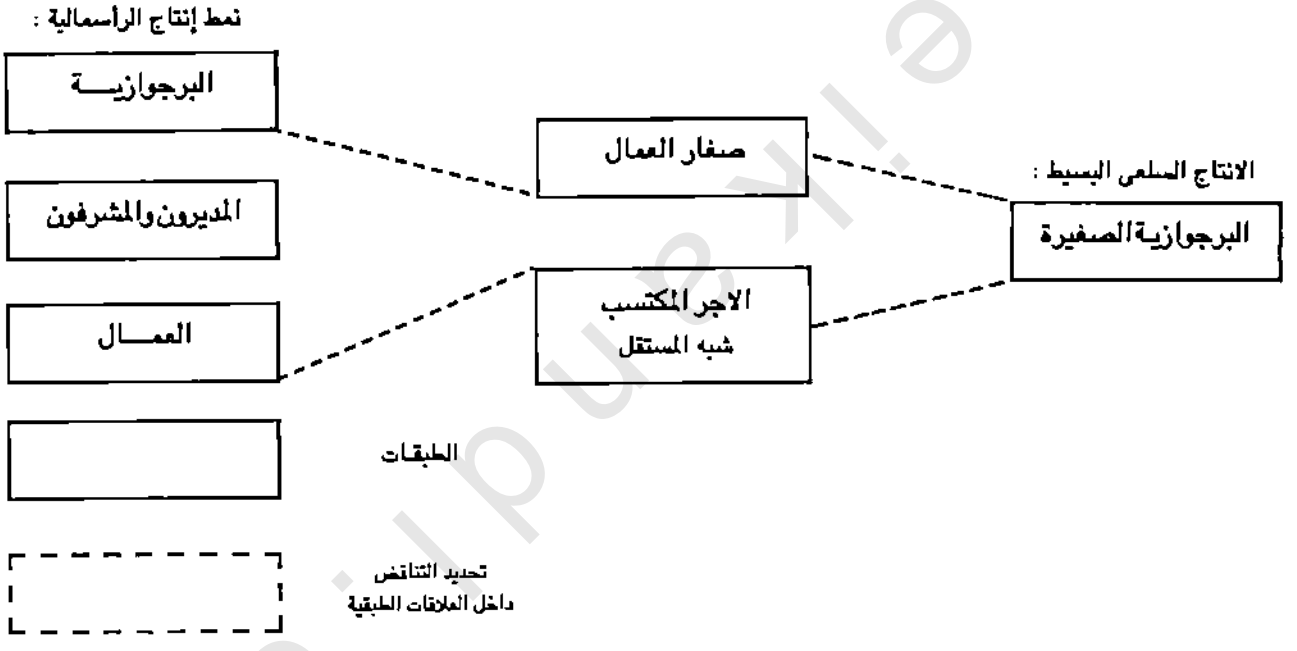

(*) المصـدر :

Wright E.O., Class Boundaries and Contradicatory, Class Location, in: Giddness and Held, (eds.), op. cit, p. 114.

فى ضوء التقسيم الإدارى للعمل ، إلا أنه أولى تغير العمليات الاجتماعية اهتماما كبيرا ، ساعده فى معرفة المواقع الطبقية والطبقات . فعلى سبيل المثال نجده يركز بصورة أساسية على السيطرة على العملية الإنتاجية وتدرج السلطة والبيروقراطية ومختلف الوظائف داخل المشروعات الرأسمالية . إن رايت فى ذلك أعطى عملية السيطرة الإنتاجية فى النظام الرأسمالى أهمية كبيرة ومنحها ضرورة وجودية لمعرفة أنماط العملية الاجتماعية من جانب وفهم العلاقات الطبقية من جانب آخر (١) .

من كل ما سبق يمكن القول أنه على الرغم من أن المقولات النظرية التى عرضنا لها قد تباينت فى أطروحاتها ، إلا أنها اجمعت على وجود التناقضات الطبقية داخل المجتمعات الرأسمالية . لقد أكدت الماركسية سواء التقليدية أو المحدثة على وجود التشطر الطبقى فى المجتمعات الرأسمالية ومن ثم على وجود طبقة مستغلة وأخرى مستغلة ، وأن إزالة هذا الوضع لن يأتى إلا بوجود الوعى الطبقى الذاتى . إن الماركسية باعتبارها النظرية العلمية الوحيدة تشدد على أهمية الدور الثورى الذى تلعبه البروليتاريا فى إنهاء ودحض النظام الرأسمالى وهذا ما أثار حفيظة الكتاب والمفكرين البرجوازيين ، وجعلهم يديـرون حوارا مع الماركسية أرادوا به باطلا . وهذا ما سنوضحه فى الجزء القادم .

ثانيا ، البنائية الوظيفية وتعرية الطبقة ، الحوار والنقد .

إذا كانت الماركسية أول نظرية اجتماعية تبرز الدور الاستراتيجى الذى يمكن أن تلعبه طبقة البروليتاريا ، إذ بينت دور الصراع الطبقى فى إطار عملية تاريخية تفسر الماضى والحاضر وتتنبأ بالمستقبل ، فإن المسرح الفكرى الأوربى قد قدم رؤية مخالفة للرؤية الماركسية مؤكدا على أهمية انتظام الحياة الاجتماعية والطابع التضامنى لا التنافسى بين الطبقات الاجتماعية . وإذا كان أوجست كونت قد اهتم بهذه القضية ، فإن كل المفكرين والعلماء الأوربيين الذين أتوا بعده ، قد أولوا هذه القضية اهتماماً كبيراً ، فبدت رؤاهم على حد تعبير " زايتلين " حوارا مع شبح ماركس .

ويقرر كوكبة من علماء الاجتماع أن التقسيم الطبقى للمجتمع على أساس علاقة الطبقة بوسائل الإنتاج الاجتماعى لم يعد قائما فى القرن العشرين ، نظرا لسيادة العلاقات المتفاعلة بين الطبقات وبعضها ، تلك التى تعد العامل المحدد لطبيعة الحياة الاجتماعية . وينظر هؤلاء العلماء إلى أن المجتمع يتكون من مجموعات اجتماعية شديدة التنوع . ووفقا لهذه النظرة فإن

---

(١) Wright. E.O. Class Boundaries and Contradictory Class Location. Op. Cit., p. 114.

نظريات علم الاجتماع البرجوازى جاءت على أنها مركبات اجتماعية نفسية وثقافية تهدف إلى إخفاء أو رتق التناقضات الفاضحة للرأسمالية الحديثة . لقد استبدلت هذه النظريات فكرة تقسيم المجتمع إلى طبقتين (البرجوازية - البروليتاريا) بفكرة أخرى مفادها أن المجتمع ينقسم إلى مجموعات أولية وأخرى ثانوية ، ويتبدى ذلك بوضوح فى أعمال جرين "Green" وكولى "Colly" (١) .

وهناك بعض المفكرين استبدلوا مفهوم الطبقات الاجتماعية بمفاهيم أخرى كالتدرج الاجتماعى ، حاولوا من خلاله رسم البناء الطبقى فى المجتمعات الرأسمالية على أنه يضم شرائح اجتماعية عديدة ، وفيه حراكا اجتماعيا يصيب الأفراد ويسمح لهم بتغيير مكاناتهم الاجتماعية . لقد حاول هؤلاء إفراغ مفهوم الصراع الطبقى من مضمونه الاجتماعى نتيجة لوصفهم البناء الاجتماعى بكثير من السيولة الطبقية واتساع مفهوم التقدم والليبرالية والتكنولوجيا . وتعتبر أطروحات ماكس فيبر "Weber" فى هذا الصدد من أهم المحاولات التى جاهدت لوضع رؤية بديلة للمفاهيم الماركسية حول قضايا الطبقة والتدرج الاجتماعى (٢) .

لقد حاول ماكس فيبر دراسة الطبقة الاجتماعية من منظور يختلف تماما عن المنظور الماركسى ، فهو يفرق بين التدرج الطبقى الذى أولاه ماركس كل الاهتمام ، والتدرج على أساس الهيبة الاجتماعية أو الاحترام ، كما درس توزيع القوة السياسية فى المجتمع باعتبارها ظاهرة مستقلة ، تلك التى اعتبرها ماركس احد نتائج التدرج الطبقى . وفى ضوء ذلك يحاول فيبر أن يقدم رؤية بديلة للتدرج الاجتماعى اكد فيها أن الملكية ليست العامل الوحيد لتحديد الطبقة الاجتماعية ، وإنما هناك بعدان آخران هما المكانة والحزب أو القوة ، ومن ثم فإنه من المناسب أن ينظر إلى المجتمع على انه مكون من شرائح اجتماعية أو جماعات بينهما علاقات تنافسية لا صراعية (٣) .

ويعرف فيبر فى كتابه " الاقتصاد والمجتمع " الطبقة بأنها جماعة من الناس تمثل موقعا أو مركزا طبقيا واحدا ، وأن المركز أو الموقع الطبقى هو دلالات متشابهة لمصالح أفراد أو مجموعة أشخاص . ويقسم فيبر الطبقات الاجتماعية إلى طبقات عليا وتضم الافراد المتميزين

---

(١) أوسيبوف ، قضايا علم الاجتماع : دراسة سوفيتية نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالى ، ص ص ١٧٧ ، ١٨٦ .

(٢) A. Giddens, op. cit., p. 181.

(٣) T.B. Bottomore and M.J. Mulkay, op. cit. p.7.

فى الإدارة والانتاج . ثم طبقة العمال التى يقسمها إلى ثلاث طبقا هم : العمال الماهرون وشبه الماهرون . وبين هاتين الطبقتين هناك طبقة وسطى تضم المزارعين والصناع والموظفين (١) . ففى إحدى المقدمات لأعمال فيبر حول مفهوم الطبقة ، يرى جرت وميلز "Gerth & Mills" " أن فيبر قام بتحديد المشكلة الطبقية عن طريق السوق والدخل والملكية ، تلك التى اشار بها إلى وحدة الانتاج الرأسمالى (٢) .

وفى كتاب فيبر المعنون " بنظرية التنظيم الاجتماعى والاقتصادى " انتقد المفهوم الماركسى للطبقة من خلال طرحه لنظريته عن الطبقات . إذ يرى أن ماركس بالغ كثيرا فى أهمية العامل المادى فى تحديد الانتماءات الطبقية ، والتمايز الطبقى . فعلى الرغم من أهمية العامل المادى فى هذا الإطار ، إلا أنه ليس عاملا منفردا ، فهناك عوامل أخرى تحدد المنزلة الاجتماعية للفرد مثل العوامل الثقافية والدينية والسياسية . ولم يقف الخلاف بين ماركس وفيبر عند هذا الحد ، بل أنه اعترض على التحديد القاطع للطبقات ، ووجود الصراع بينها ، فهو يرى أن ثمة فئات وشرائح اجتماعية يشغل افرادها مكانات اجتماعية ، ومن ثم أدوار اجتماعية مختلفة ، وأن الصراع الذى أولاه ماركس كل اهتمامه لا يقع بين الطبقات بقدر ما يقع بين الأدوار الاجتماعية فى المركز والمكانة والشرف الاجتماعى ، وهو ليس بصراع بقدر ما هو منافسة (٣) .

وينهج سوروكين نفس الخط المضاد والناقد لأفكار ماركس المادية فى تحديده للطبقة والتدرج الطبقى . وربما سوروكين يعد العالم الوحيد الذى جاء بنقد شامل للتفسير الماركسى . ويطلق سوروكين مصطلح الجماعة متعددة الارتباط Multi-bounded group ليشير إلى الطبقة الاجتماعية التى تتنوع بتنوع طبيعة الأسرة والقبيلة والطائفة والنظام الاجتماعى والقومية . وهو فى ذلك يرى أن المؤشرات الثقافية والاجتماعية لا ترجع إلى عوامل اقتصادية أو مادية (كما يذهب ماركس) ، وإنما ترجع إلى عدد من العوامل يكون العامل الاقتصادى إحداها وفى إطار أفكاره .

ويهتم سوروكين بالقضايا المرتبطة بمراكز الناس وما يحتلونه من مراتب فى المجتمع الأمر الذى جعله يلهث وراء ترتيبهم فى محليات ، حتى يجنب نفسه الاعتراف بوجود الطبقة

---

(١) M. Weber economy and society, p. 91-93.
(٢) H: Gerth and C.W. Mills (eds). from max weber, p. 69.
(٣) M. Weber, the theory of social and economic organization, p. 426-430.

وجودا عضويا فى المجتمع . ويذهب أيضا الى أن الثورات التى عرفها التاريخ تعمل على إنماء الهوة الاجتماعية ، وتغير اشكال التدرج الاجتماعى ولكنها فى الوقت ذاته لا تعمل على هدم التدرج الطبقى ، أى أن التدرج الطبقى أمر طبيعى ودائم فى أى مجتمع (١) .

وإذا كان ماركس قد ركز على العامل المادى وعامل تقسيم العمل فى ظهور الطبقات ، وأن فيبر قد ركز على إنقسام المجتمع إلى شرائح مختلفة لها درجات متباينة من المكانة والهيبة الاجتماعية ، فإن باريتو وميشلز "Parito & Michels" قد ركزا على أهمية القوة والنفوذ السياسى فى تحديد الانتماءات الطبقية للأفراد فهما يؤكدان على أن المركز السياسى الذى يحتله الفرد يلعب الدور الرئيسى فى تحديد مكانته الاجتماعية ، ومن ثم قوته وشرعيته وطبقته الاجتماعية .

أما موريس جنزبرج "Ginsberg" فيركز على عامل الوعى الطبقى Conciousness Class فى تحديده للطبقة الاجتماعية . ويقصد جنزبرج بالوعى الطبقى ذلك الشعور الذى يتعرض له الفرد بأنه ينتمى إلى طبقة أو شريحة بذاتها ، ويرى أن هذا الوعى يأتى نتيجة مشاركة اعضائها لظروف اجتماعية وثقافية واقتصادية وسيكولوجية واحدة ونتيجة تشابه أسلوب حياتهم وسلوكياتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وقيمهم وأهدافهم .

ويرد ريمون أرون "Aron" على جنزبرج فى ذلك ، ويذهب إلى أن تحليل أى مجتمع معقد فانه ينبغى الكشف عن المجموعات الاكثر واقعية ، وأن واقعية المجموعات تتحدد وفقا للتماثل فى طرائق المعيشة والتفكير لدى الأفراد أو عن طريق التماثل بينهم . فعلى الرغم من الرابطة الضرورية بين هاتين الظاهرتين ، فهناك أفراد يختلفون كثيرا فى طريقه المعيشة ويشعرون بأنهم أعضاء فى طبقة واحدة ، وهناك أفراد يعيشون ويفكرون بطريقة مماثلة وقد لا يكون لديهم الوعى نفسه ولا يقعون فى مصفوفة طبقية واحدة (٢) .

ومن خلال مجموعة المحكات التى طرحها المفكرون البرجوازيون فى تحديد الطبقة الاجتماعية نجدهم بالغوا فى قدرة بعضها فى فهم أشكال التدرج الاجتماعى . فعلى سبيل المثال نجد أن مفهوم المكانة الاجتماعية قد احتل موقعا متقدما فى معظم التحليلات ، ففى دراسة للويد وارنر "Warner" عن الطبقات الاجتماعية فى مدينة جونسفيل يخلص إلى وضع

---

(١) غريب سيد أحمد ، الرجع السابق ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .

(٢) احسان محمد الحسن ، البناء الاجتماعى والطبقية ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

ست طبقات هى : الطبقة العليا والوسطى والسفلى ، وقسم بداخل هذه الطبقات كل منها إلى طبقة عليا واخرى سفلى . وفى هذه الدراسة يحاول وارنر أن يدمج بين المكانة الناتجة عن الثروة بالمكانة الموروثة والمستمدة عبر الزمن . ثم طبق وارنر هذا التقسيم على مدينة نيوهافر وتوصل إلى نفس النتائج . وعلى الرغم من ان هذه الدراسة قد ابرزت حبكة منهجية واضحة . إلا أنها كانت ترى أن الطبقة جماعة مهنية تعتمد فى التصنيف على شعور الأفراد لأنفسهم . ناهيك عن عدم الاكتراث بالبعد التاريخى وما يطرأ على البناء الطبقى فى المدن الامريكية من تحولات (١) .

وعلى الرغم من أن الطبقة فى كل التصورات السابقة ترتبط بتصور المكانة الاجتماعية ، إلا أن ثمة اتجاه يتزعمه تالكوت بارسونز "Parsons" يتخذ من النسق القرابى والقيم الاجتماعية معيارين للتصنيف الطبقى . فهو فى تحليله للتدرج الاجتماعى يحاول أن يمزج بين مفهوم الطبقة والنسق القرابى باعتبارهما وحدة واحدة ، لذا نجده يرى أن الطبقة هى مجموعة من الناس تتشابه قيمهم فى توحدهم القرابى . ووفقا لرؤى بارسونز فإنه بين البناء الطبقى والقرابة علاقة جدلية قوامها التأثر والتأثير ، كما أن النسق المهنى والتدرج الطبقى يسيران فى خط واحد يصاحبهما الروابـط القرابية . وأن هناك قيما متشابهة يفرزها الموقع الطبقى الواحد (٢) . وفى ضوء ذلك يضيف بارسونز أن عملية التدرج الطبقى عملية مصاحبة بالضرورة للتباين الاجتماعى أو بمعنى آخر أنها نتيجة طبيعية لها (٣) .

ومن خلال تفسير وظيفى كلاسيكى يذهب كنجزلى دافز "Davis" ووليبرت مور "Moore" إلى أن التدرج ضرورى للمجتمع الذى يقوم على تقسيم اجتماعى يتسم بالتعقيد . ففى مثل هذه المجتمعات يقوم التدرج على توزيع المكافآت على المهن المختلفة . ويريان أن التدرج الاجتماعى عبارة عن ترتيب للأفراد أو المجموعات أو الفئات المهنية ، وأن هذا التدرج يسهم فى أداء المجتمع لوظائفه . ويؤكد كل من دافيز ومور فى هذا الصدد على انه لا يوجد مجتمعات بدون طبقات ، لذا فهما يريان أن التدرج الطبقى يقوم على الترتيب الهرمى للرتبة أو المكانة ، وأن هناك عوامل أخرى مثل الدين والحكومة والثروة وإدارة الملكية والعمل والانتاج والمعرفة التكنولوجية تسهم فى ترتيب الأفراد تدريجيا من حيث المكانة ، كما أنهما يريان أن

---

(١) ريمون آرون ، صـراع الطبقـات ، ص ٥٧ . وأيضا : جورفيتش ، دراسات فى الطبقات الاجتماعية ، ص ٦ .

(٢) ارفنج زايتلين ، النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع : دراسة نقدية ، ترجمة محمود عودة وابراهيم عثمان ، ص ٥٨ .

(٣) T.Parsons, essays in sociological theory, p. 77-79.

كمية الحراك الاجتماعى فى المجتمعات الصناعية نتيجة التطور التكنولوجى الضخم ، قد تعاظمت بحيث أضحت تمنع تحجر الطبقات فى أماكنها ، أى أن ثمة سهولة فى صعود وهبوط الطبقات فى المراكز الطبقية (١) .

جملة ما سبق أن تحديد الطبقة وفقا لآراء البنائية الوظيفية يقوم على أبعاد متعددة مثل الاقتصاد والمكانة والبعد السيكولوجى والقوة ، وأن هناك تركيز مكثف على المكانة باعتبارها الدعامة الجوهرية فى وجود وتصنيف الطبقات . وإذا كانت البنائية الوظيفية فى ضوء الأفكار السالفة قد حاولت أن تقف موقفا مناهضا من وجهة النظر الماركسية حول المحددات الرئيسية للطبقة ، وحتى وجودها ، فإنها أيضا تقف موقفا معارضا من قضية الصراع الطبقى . وعلى الرغم من أن الماركسية تركز على الصراع الطبقى ، فإن البنائية الوظيفية تركز على التناغم الاجتماعى والثبات واستمرارية الأبنية الاجتماعية . وإذا كانت الماركسية من خلال نظرة تاريخية قد ركزت على البناء المتغير للمجتمعات ، فإن البنائية الوظيفية قدم ركزت على تنظيم الحياة المجتمعية من خلال القيم العامة والمعايير . لقد جاهدت البنائية الوظيفية من أجل الإتيان بوجهة نظر مخالفة للصراع الطبقى واختلاف المصالح والقيم داخل المجتمع ، تلك القضية التى سوف تنصب حولها السطور القادمة ، والتى سوف نوضح فيها أهم وجهات النظر التى تقف موقفا معاندا أو مغازلا لقضية الصراع الطبقى لدى النظرية الماركسية .

فإذا كان ماركس قد رأى أن الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية سوف يحقق المجتمع اللاطبقى . فإن فيبلن "Veblen" انطلاقا من هذه الرؤية يرى أن الصراع الطبقى هو صراع من أجل المصالح . كما أن كوزينسكى "kuezynski" يرى أن إفقار البروليتاريا فى المجتمعات الصناعية هو نتيجة أساسية للتفاوت والصراع فى هذه المجتمعات .

وبالنظر إلى موسكا "Mosca" نجده يتفق مع ماركس فى أن الصراع الطبقى هو العامل الحاسم فى تطور الإنسانية وتقدمها ، وأن الصراع يتضح من المقاومة بين أصحاب القمة ومن يحتل القاع . ويرى موسكا أن الطموح فى الصعود إلى أعلى يضع بذور الثورة بمعنى أن القوى الفردية والطبقية تسلك محاور جديدة من أجل تحضر العالم . أما ميشيلز فنجده يؤكد على أهمية الصراع الطبقى والوعى الطبقى كمحكات أساسية فى الوقوف على الطبقات القائمة فى المجتمعات . ويضيف أن البرجوازية تلعب دورا أساسيا فى انتشار الوعى

---

(١) محمود عودة : أسس علم الاجتماع ، ص ٢٠٨ ، وأيضا : غريب سيد أحمد ، المرجع السابق ، ص ١١٥ .

الطبقى عند البروليتاريا (١) .

أما عن أهم الاتجاهات التى وقفت موقفا صلبا من أفكار ماركس حول الصراع تلك التى تدور حول المفهوم الماركسى للطبقة الاجتماعية وتحديدها وتنبؤها بالمجتمع اللاطبقى ، فيتقدم إلى الصدارة هنا دارندورف "Dhrendorf" الذى يرى أن ماركس أضفى على مفهوم الطبقة معنى سوسيولوجيا ، لذا جاءت رؤاه ليست تصورا للتدرج الاجتماعى ، ولكنها اداة لتفسير التغير الاجتماعى . ويوجه دارندورف نقده إلى التنبؤ الماركسى للمجتمع الخال من الطبقات ، فيقول أن ماركس فى هذه القضية كان يوتوبيا عندما تصور وجود مجتمع من غير طبقات وبلا صراع طبقى (٢) .

وهناك محاولة لبوخارين "Bukharin" سعت إلى إيجاد تركيبة ماركسية وظيفية ، رأى من خلالها أن المجتمع ، ما هو إلا نسق يتميز بتوازن دينامى بين الاقتصاد والتكنولوجيا والطبقات الاجتماعية والطبيعية . ويؤكد بوخـارين أن هذا النسق يتميز بالدينامية وليس بالسكون . بل ويضيف أنه فى حالة اضطراب مستمر تسبب فى وجود مجموعة من التناقضات بين العمل ورأس المال من ناحية ، وبين الأيديولوجيات من ناحية أخرى ، وبين القوى الإنتاجية الخاصة والقوى الإنتاجية الجمعية من ناحية ثالثة . ويرى بوخارين أن التوازن يتحقق من خلال الاجماع القيمى المتجسد فى الأيديولوجيات التى تخدم أهداف النظام الاجتماعى القائم . وفى ضوء ما سبق يمكن القول أن بوخارين ينظر إلى المجتمع فى ضوء عمليتى الموائمة والتكيف مع التغيرات الداخلية والخارجية . ويبدو أن محاولات التأليف بين الماركسية والوظيفية كانت تأتى إبان الأزمات التى تحدث فى الأنظمة الرأسمالية بهدف إحداث ضربا من التوازن (٣) .

وبالنظر الى رؤية زيمل " Simmel" حول الصراع ، نجده يرى أن الصراع عملية اجتماعية أساسية من عمليات التفاعل الاجتماعى ، ونوع من المنافسة المباشرة بين الأفراد حول رغبات وحاجات ومصالح متعارضة . وهو فى ذلك يرى أن البناء الاجتماعى يشتمل على مجموعات متباينة من القوى الاجتماعية المتباينة . ويميز زيميل بين نوعين من الصراع ، الأول شرعى والآخر غير شرعى . فإذا كان الأول يتم على المستوى القومى ويتمثل فى الصراع

---

(١) غريب سيد أحمد ، المرجع السابق ، ص ص ٦٧ – ٦٩ .

(٢) عبد الباسط عبد المعطى " المادية التاريخية والصراع الطبقى فى : عبد الباسط عبد المعطى وعادل الهوارى . النظرية الاجتماعية المعاصرة ، ص ٧٦ – ٧٨ .

(٣) السيد الحسينى ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ – ١٢٩ .

الاقتصادى ، فإن الأخر فردى ويتم على مستوى الأفراد . لقد حاول زيميل أن يوضح أن الصراع له وظائف إيجابية وسلبية يصعب الفصل بينها ، وهو هنا بعكس ماركس الذى ركز على دور الصراع فى التغير والتطور الاجتماعيين (١) .

أما بارسونز فقد نظر إلى الصراع على أنه أحد الركائز الأساسية للنظام الرأسمالى ولعمليات التدرج الاجتماعى . ويرى أنه بين الإنتاج الرأسمالى والتدرج الاجتماعى علاقة تساند وظيفى . لذا نجده يقرر أنه عند دراسة الأساس الوظيفى للتدرج الاجتماعى يراعى تحليل شكل العلاقات الاجتماعية المتكاملة والمنظمة داخل النسق ، وأنه لادراك هذا التحليل لابد وأن نضع أمامنا المعايير التى تتحكم فى كل من الأعلى والأدنى على السواء . ويوضح بارسونز أن ثمة مظهر تنافسى يسود بين الأفراد ، هذا المظهر الذى يبرز وجود نوع من التوازن . إن الصراع مرض قائم بالنسق ولا مفر من حدوثه . وجدير بالذكر أن بارسونز استخدم مفهوم الصراع بمفهوم التوتر "Tension" وربطه بمفهوم القرابة ، وحاول أن يربط بينه وبين المرض البشرى ، فحكم عليه بأنه معوق وظيفى . ولكن ينبغى أن نعى أن ليست كل الصراعات معوقة وسلبية وأن ذلك يوضح بجلاء التزام بارسونز المسبق بأيديولوجية الحفاظ على النظام القائم ، تلك التى تتضح فى إهماله لحقيقة علاقات القوة والدينامية الطبقية والصراع الذى مر عليه سريعا دون التعمق فيه (٢) .

نخلص مما سبق أن علم الاجتماع الغربى فى كل ما قدم من رؤى حول الطبقة والصراع الطبقى يسعى إلى محاولة تفسير وتبرير والدفاع عن شرعية البناء الاجتماعى القائم فى البلدان الرأسمالية . إن هذا العلم هو جزء من نظام اجتماعى يسعى إلى البقاء والوجود إلى الأبد ، وأن كل الأطروحات التى يقدمها ما هى إلا أداة مطوعة فى خدمة الأهداف الرأسمالية . إن السوسيولوجيا الغربية قد استبعدت عن استخدامها مفاهيم مثل الرأسمالية والاستغلال والتناقض ، واستعاضت عنها بمفاهيم أخرى فارغة من الدلالات الأيديولوجية .

إن مداخلات تحليل البنية الطبقية ودروب التدرج الاجتماعى لم تشهد إجماعا بين الباحثين . فثمة بيانات جلية بصدد نظريات الطبقة الاجتماعية والتدرج الاجتماعى . ففى حين ركز علم الاجتماع الكلاسيكى على وصف التدرج الاجتماعى ، نجد أن التحليل الماركسى يركز

---

(١) عبد الباسط عبد المعطى ، " البنائيـــة الوظيفية والصراع داخل النسق الاجتماعى " ، فى : عبد الباسط عبد المعطى وعادل الهوارى ، المرجع السابق ، ص ١١٥ – ١٦٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٣ – ١٢٦ .

على بنية الطبقات وكيفية تشكلها داخل عملية الانتاج . لقد خرج الكتاب والعلماء البرجوازيون من مكمنهم لكى يحاربوا قضية التفاوت الطبقى والصراع الطبقى ، أو بالأحرى التشكيك فى الانقسام الطبقى . ولكن لا نستطيع القول أن الانقسام الطبقى قد أنكر بشكل تام ، فهناك رؤى تحاول أن تزاوج بين الماركسية والوظيفية ، والبعض الآخر اعتمد على قضايا التناغم الوظيفى والتساند ورفض فكرة الصراع ، وكوكبة ثالثة أقرت بوجود الطبقات . ولكن برغم تباين هؤلاء إلا أنهم جميعا أخذوا من القضيا الماركسية حول الطبقة موقفانقديا مناهضا ، أو قل أنهم أجروا معها حوارا نقديا عنيفا .

وإذا كانت المناقشة السابقة قد كشفت عن التباينات الجوهرية بين الرؤى النظرية المختلفة التى تحاورت حولها كل من الاتجاهات الماركسية والاتجاهات البنائية الوظيفية ، أو حتى المجدده لكل منهما ، فإن ثمة تساؤل هام يثور فى هذا الصدد وهو : إلى أى مدى تنطبق هذه المقولات على الواقع الطبقى لبلدان العالم الثالث ، ذلك البناء الذى تشكل وفقا لاعتبارات داخلية وخارجية معا . وهذا محور حديث الفصل القادم .

obeikandl.com